سرقة القطار الكبرى

تمّت الجريمة بمنتهى الإتقان.. لولا ذلك الخطأ!!

يوم لا ينساه الشعب الإنجليزى..

في يوم 3 أغسطس سنة 1963.. وعند جسر «بريدجو» بقلب الريف الإنجليزى في بوكينجهامشاير.. وقع أكبر حادث سرقة قطار.. والذى استحوذ على اهتمام الناس في أنحاء العالم، الذين أذهلتهم الجريمة لفكرتها الذكية وتنفيذها المتقن.. وعُرفت الجريمة منذ ذلك الوقت باسم: سرقة القطار الكبرى. ففى صباح ذلك اليوم استطاع مجموعة من اللصوص عددهم 15 رجلًا السطو على 120 «حقيبة بريد» من داخل قطار بضائع أثناء رحلته من «جلاسكو» إلى «لندن».. وقام اللصوص بنقل الحقائب إلى عربة «لورى»، والفرار بها. كان داخل الحقائب البريدية مبلغ2.5 مليون جنيه إسترلينى!!!

كيف جاءت فكرة الجريمة؟

بدأ التفكير في سرقة القطار في يناير من نفس السنة بعد لقاء تمّ بين «جوردن جودى» - أحد مجرمى جنوب إنجلترا العُتاة- وبين صديق له يعمل كاتبًا بالمحكمة.. أخبره الصديق بأن لديه معلومات عن «عملية» تمكنهما من السطو على مبلغ خيالى من المال.

وكانت المعلومات تقول: إنه في مساء كل يوم يمضى قطار بريد من

محطة جلاسكو بإسكوتلاندا إلى محطة أوستن بلندن.. محمّلًا بأوراق البنكوت القديمة بعد جمعها من بنوك إسكوتلاندا للتخلص منها في لندن.

ويتم شحن النقود داخل حقائب بريدية توضع في إحدى عربات الشحن.. وهى عادة العربة التالية مباشرة لعربة السائق.. ويحرس هذه العربة خمسة رجال من شرطة البريد. وتختلف كمية الأموال من وقت لآخر، فترتفع عادة في اليوم التالى لعُطلة البنوك.. لكنها في أي حال من الأحوال لن تقل عن بضعة ملايين من الجنيهات الإسترلينى!!

اجتماعات سرية بين «أساتذة» الإجرام!!

وأعْجب.. «جودى» بفكرة الجريمة وقرر القيام بها. وفي اليوم التالي اتّصل بصديقه الحميم المجرم «رونالد إدوارد» الشهير باسم «بوستر».. وتعددت اجتماعاتهما السرية التى راح خلالها الاثنان يخططان لجريمة السطو.. حتى «نضجت» الفكرة في رأسيهما وتوصلا لطريقة ذكية تمكنهما من إيقاف القطار أثناء سيره وسرقة حقائب الأموال.

لكنهما أدركا أنهما لن يمكنهما بالطبع القيام بتلك المهمة بمفرديهما.. إذ كان من اللازم الاستعانة بعدد آخر من اللصوص ذوى الخبرة والتخصصات الإجرامية.

من هنا اتسع نطاق العصابة.. بعد أن انضم لها أساتذة آخرون في عالم الإجرام من أصدقاء «جودى»، فصارت تضم بعد اكتمالها هذه الشخصيات:

جوردن جودى: في الثانية والثلاثين من العمر - ضليع في الإجرام - له مزاج خاص في انتقاء ملابسه!!

رونالد إدوارد: 30 سنة - ضخم البنية - من فتوّات الملاهى الليلية.

بروس رينولد: 30 سنة - متزوج- يعيش عيشة رغدة لكنه مجرم بطبعه.

شارلى ويلسن: 32 سنة - الصديق الحميم لرينولد وشريكه في معظم جرائمه.

جيمى وايت: 42 سنة - مفصول من الجيش الإنجليزى.

بوب ويلسن: 43 سنة - يمتلك «ملهى ليلى» في جنوب لندن.

تومى وسبى : 32 سنة - يعمل بتجارة الكتب.

جيم هوسى: 30 سنة - يدير مطعمًا في جنوب لندن.

ذلك بالإضافة إلى ثلاثة أصحاب تخصصات أخرى، وهم:

روى جيمس: 32 سنة - يعمل صائغ فضة، ويحترف القيادة وسباق السيارات.

روجر كوردرى: 38 سنة - خبير في طرق التحكم في مسارات القطارات وإشارات السكك الحديدية (السيمافور).

بالإضافة إلى صديق له كان يعمل سائق قطار.

جسر «بريديجو».

واستقر رأى أفراد العصابة على أن يكون جسر بريديجو هو مكان «العملية» حيث تتفرع خطوط السكك الحديدية.. وبالتالى يمكنهم إيقاف القطار عن السير بالتحكم في الإشارات الضوئية الموجهة له.. ثم يقومون بالتصدى للحرّاس - بناء على الخطة المحددة - والسطو على عربة القطار المحملة بالأموال.

جسر بريديجو.. المكان الذي حدّدة أفراد العصابة للقيام بسرقة القطار

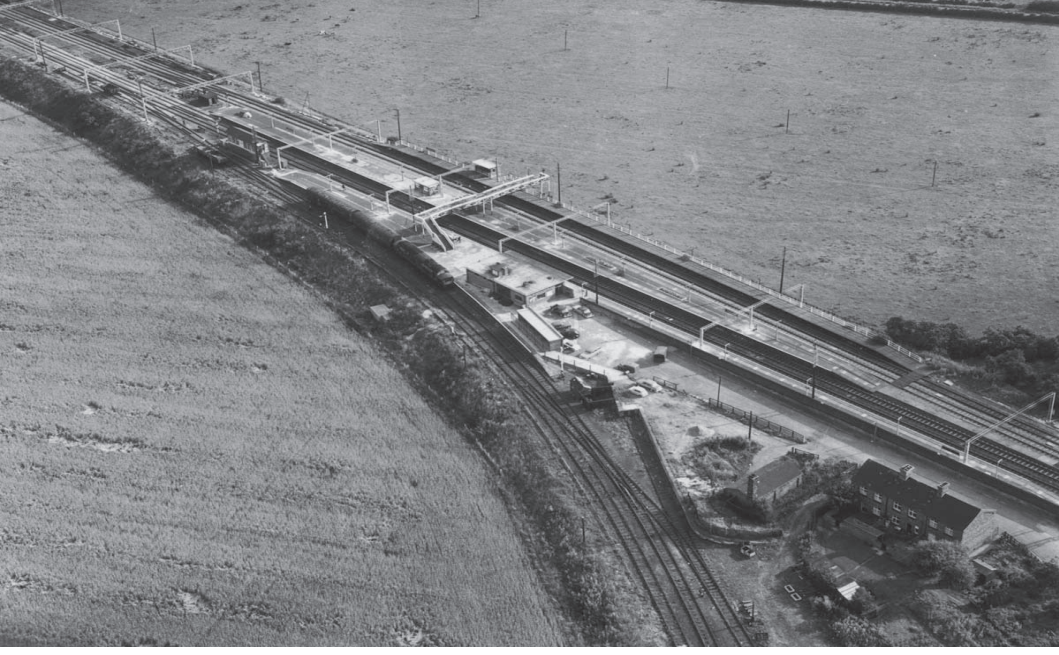

منظر آخر يوضح تقاطع خطوط السكك الحديدية عند مكان السطو على القطار

ساعة الصفر:

وفي اليوم السابق لعملية السطو أقام أفراد العصابة من مزرعة «ليثرسليد» على بُعد 26 ميلًا من جسر بريديجو استعدادًا للقيام بها فجر اليوم التالى عند وصول القطار للمكان المحدد. واتفقوا على ارتداء ملابس عسكرية ليظهروا كأنهم جنود في مهمة خارج معسكرهم.. فلا يرتاب فيهم أحد أثناء توجههم للمكان أثناء الليل.

وفي ساعة متأخرة من الليل غادر أفراد العصابة المزرعة واتجهوا إلى مكان الجسر في زيّهم العسكرى مزودين بأسلحة نارية وآلات حديدية مختلفة لاستخدامها في إعداد «الكمين» للقطار وتنفيذ عملية السطو.

وقام جوردى - الخبير بنُظم الإشارات - بتغيير إشارات المرور التى تقع على خط سير القطار.. فقام بتغيير إشارة للمرور تقع على مسافة بعيدة من الجسر.. بحيث تشير للقطار القادم بأن يُهدّئ من سرعته.. وقام بتغيير إشارة أخرى قريبة من الجسر بحيث تشير للقطار بضرورة التوقف تمامًا عن السير.

كما قام أفراد العصابة بقطع خطوط الاتصالات التليفونية عن المنطقة؛ حتى لا يكون هناك فرصة أمام طاقم القطار لطلب الإغاثة.

ثم اختبأ أفراد العصابة في أماكنهم عند الجسر في انتظار قدوم القطار.

وعندما جاء القطار في الموعد المحدد.. اضطرّ سائقه «جاك ميلز» أن يهدئ سرعة القطار عند أول إشارة.. ثم اضطر للتوقف تمامًا بناء على الإشارة الثانية.. ولا شك أنه كان في حيرة مما يجرى في تلك الليلة، فقد اعتاد كل ليلة أن تكون الإشارات في ذلك الوقت مضاءة «بالأخضر» فتسمح له بالمرور دون توقّف.

لذلك طلب سائق القطار من مساعده «ديفيد ويتبى» أن يقوم بعمل اتصال هاتفى من المنطقة ليستفسر عن سبب إعطاء الإشارة بالتوقف.

ومضى ويتبى في الظلام خارج القطار ثم سمعه «ميلز»، وهو في عربة القيادة، يستفسر من شخص ما بالمنطقة عما يجرى بها.

وعندما سأل ميلز ذلك السؤال البريء لم يكن يتوقع أبدًا أن يتلقَّى الإجابة على ذلك النحو.. فقد كان ذلك الشخص هو «بوستر» أحد أفراد العصابة والذي سريعًا ما قام بتسديد ضربة قوية إلى رأس ميلز لم ينلها من قبل في حياته!!

أما سائق القطار «جاك ميلز» فسريعًا ما وجد نفسه محاصرًا في عربته برجلين من العصابة، أحدهما على جهة اليمين والآخر على جهة اليسار.. وقام أحدهما بتسديد ضربة قوية على رأس ميلز.. أُغشىَ عليه بعدها، ولم يدر بعد ذلك ما جرى له إلا عندما أفاق من غشيته ووجد نفسه مكبَّلًا بالحديد إلى جوار مساعده ديفيد ويتبى.

وصعد رجال العصابة إلى القطار.. واندفعوا مباشرة إلى العربة المحمّلة بالأموال وانهالوا عليها تكسيرًا بآلاتهم الحادة حتى تمكنوا من الدخول.. وفوجئ حرّاس العربة الموجودين بداخلها بذلك الهجوم الشرس، وسريعًا ما قام أفراد العصابة بالسيطرة عليهم وتكبيلهم بالسلاسل الحديدية.. ثم راحوا يفرغون شحنة الأموال من العربة.. ونقلوها إلى «اللورى» المنتظر بأسفل الجسر.. ومضوا هاربين عن المكان..

اختفاء اللصوص:

وتمت الخطة كما توقع أفراد العصابة سوى شيء واحد كان في غير الحسبان.. وهو اللجوء إلى القتل.. إذ إن سائق القطار قد مات بعد عملية السطو متأثرًا بالإصابة العنيفة التى أحدثها رجال العصابة برأسه أثناء الهجوم على القطار.

وعاد أفراد العصابة للمزرعة مرة أخرى سالمين فرحين بثروتهم الطائلة واستمروا نحو يوم بأكمله يحصون مقدار المبلغ المسروق.. وكان يقدر بـ2.5 مليون جنيه إسترلينى!!

واستمرت العصابة باقية بالمزرعة فترة من الزمن حتى هدأت الأمور، بعدها غادروا المزرعة باطمئنان بعد أن نال كل منهم نصيبه من الأموال.

كانت السلطات في ذلك الوقت قد بدأت تيأس من القبض على أفراد العصابة.. واعتقد الناس أن اللصوص الذين دبّروا لتلك الجريمة المتقنة لابد أنهم قد اختفوا عن مسرح الجريمة بنفس الإتقان دون أن يخلفوا وراءهم أى أثر.. ولعلّهم في ذلك الوقت ينعمون بما غنموه من أموال دون أن يدرى بهم أحد!

وكان من الممكن فعلًا أن يصُدق ما تصوّره الناس.. وأن ينجو اللصوص من العقاب.. لكن ذلك لم يحدث..فرغم أن اللصوص قد أتقنوا التخطيط لعملية السطو لكنهم أخطأوا خطأً جسيمًا أثناء مغادرتهم للمزرعة التى اختفوا فيها عن الأعين.

فكان المفروض كما اقترح أفراد العصابة أن يغادروا المرزعة دون ترك أي أثر يشير إليهم.. حتى أن «جوردن جودى» الذي تزعم العصابة، قال أثناء الاستعداد للرحيل: «لا أود بأى حال من الأحوال ترك أي أثر بعدنا حتى ولو (شعرة) رأس واحدة من أي منّا».

وكلّفت العصابة أحد الأفراد بأن يتولى هذه المهمة.

لكنه لم يحدث شيء من ذلك.. إذ تسرعوا في الرحيل من المزرعة تاركين خلفهم العديد من الآثار التى يمكن أن تُوقع بهم بين قبضة رجال المباحث..

فكانت هناك ملابسهم الشخصية.. والأدوات التى استخدموها في عملية السطو.. علاوة على بصمات أصابعهم الواضحة على الأشياء بالمكان.

وكان من الطبيعى عند وصول رجال المباحث إلى المزرعة أثناء تحريّاتهم.. أن ترشدهم هذه الأشياء إلى لصوص القطار المنشودين..

واستطاعوا في النهاية معرفة شخصيتهم خاصة وأن أغلبهم له سوابق في الإجرام.

وخلال سنة واحدة من عملية السطو كان معظم أفراد العصابة في السجن!!.. وصدر الحكم على كل من جودى وويلشن وجيمس ووسبى وهوسى بـ30 سنة أشغال شاقة لكل منهم.. باعتبار أنهم قاموا بالدور الأكبر في التخطيط للجريمة وعملية السطو.

الرأى العام يتعاطف مع المجرمين!!

ورغم أن تلك الجريمة كانت تعتبر جريمة اجتماعية، إذ تتعلق بأمن المجتمع وسلامته.. إلّا أن كثيرًا من الناس تعاطفوا مع المجرمين بعد صدور ذلك الحكم واعتبروه حكمًا قاسيًا للغاية!!

لكن، عمومًا لم يقض أغلب أفراد العصابة المدة المقررة فأغلبهم خرج من السجن بعد 14 سنة، وهم من حُكم عليهم بـ 30 سنة.كما خرج «كوردرى» بعد 7 سنوات فقط، بعد أن كان مقررًا عليه الحكم بـ 14 سنة.

أما المبلغ المسروق.. فلم يتمكن رجال المباحث من استرداده مرة أخرى.. وبعد خروج أفراد العصابة من السجن راح أغلبهم يبدأ حياته من جديد معتمدًا على نصيبه المتبقى من الأموال المسروقة!!

ولم ينس الشعب الإنجليزى بسهولة قصة تلك الجريمة.. فظلت الحديث المفضل لكثير من الناس لفترة طويلة.. وكان الصحفيون والكُتاب هم أكثر الناس اهتمامًا بموضوع هذه الجريمة والكتابة عنها، وعلى مدى عدة سنوات من الجريمة صدر أكثر من كتاب حول عملية السطو.. ولا شك أن معظم الشعب الإنجليزى لا يزال يذكر حتى الآن تلك الجريمة المتقنة وذلك الخطأ الجسيم الذى وقع فيه لصوص القطار..